

تتمة الفلسفة المثالية :

3- الفيلسوف الألماني هيغل (1770-1831) : تعد فلسفة هيغل امتدادا لفلسفة كانت المثالية، ولكن ذلك لم يمنعه من نقد كانت ومخالفة آرائه . وتذكر فلسفة هيغل بفلسفة افلاطون في منح الفكرة وجودا مستقلا، فتتحقق الفكرة نظريا في العلم، والحس في الفن، في شكل جمالي، والفن الدرجة الضرورية الاولى للمعرفة، وكلما تقدم الفكر ضعف الجمال وامحى .

ويرى هيغل ان جمال الفن هو جمال " متولد من الروح وتعاد ولادته من جديد " وكلما ارتقت منتجات الروح فوق الطبيعة وظواهرها ارتقى جمال الفن على جمال الطبيعة (محاضرات عن الفن الجميل : هيغل: 26)

إن ميدان الجمال لدى هيغل : يتمثل في الادراك الحسي إدراكا لا يستلزم أقيسة عامة مجردة، فالجمال فكرة عامة خالدة، لها وجود مستقل، وتتجلى في الاشياء حسيا، وتخالف الحقيقة: لأن للحقيقة وجود ذهني غير حسي، وقد نظر هيغل الى الجمال بوصفه فكرة، ورأى أن فكرة الجمال مرت بثلاث مراحل، تمثل تطور الفن، هي :

أ- المرحلة الأولى : تتمثل في الفن الشرقي والمصري، وفيه تهيمن المادة على الفكرة، إذ تمثل الجمال في الشكل، لضعف الفكرة. ومن نماذج فن هذه المرحلة، التي تبرز في الاشياء الجليلة التي تبعث على الرهبة لضخامتها : المعابد المصرية والقبور. ويحدد هيغل تلك المرحلة بالمرحلة الرمزية، التي ينتصر فيها الشكل على المضمون .

ب- المرحلة الثانية: وهي المرحلة الكلاسية، وتتمثل في الفن اليوناني، وفيها يتعادل الشكل والمضمون، في أتم تعبير عن الفكرة، ويرى أنها مرحلة الكمال التي لن يصل اليها الفن في المستقبل .

ج- المرحلة الثالثة : وهي المرحلة الرومانسية، التي شهدت سيطرة المسيحية، وفيها تغلبت الفكرة على الصورة ، واختل التوازن بين الشكل والمضمون، ومن نماذج فنون العصور الحديثة الفكرية الذهنية، ولاسيما الموسيقى والشعر.

وفيما يتعلق بأبرز الفنون التي ميزت كل مرحلة من المراحل الثلاث لدى هيغل فعلى النحو الآتي ك هندسة البناء في المرحلة الاولى والنحت في المرحلة الثانية، والموسيقى والشعر في الثالثة .

ويخالف هيغل كانت في في أنه لا ينظر الى الجمال من ناحية ذاتية شكلية فحسب وانما ينظر اليه من ناحية موضوعية أيضا، وكان له الفضل في تقديم النظرية والتطبيق على الفن عمليا، وحدد موقفه من الفن في عصوره المختلفة، في ضوء العوامل التاريخية . ولعل ابرز ما قدمه هيغل ووجد صدى واسعا فيمن جاء بعده من فلاسفة الجمال ونقاد الأدب، " أن الفكرة – أو المضمون المثالي- يتراءى من خلال الصورة الفنية في العمل الأدبي " .

وعلى الرغم من ان آراءه، التي اهتمت بالمضمون في مقابل الشكل، أرست القواعد الأولى لفلاسفة الواقعية، في تفسير الأدب والفن تفسيراً ماديا تاريخيا، فإنه لم يغادر مجال الفلسفة المثالية، التي تعنى بالفكر ذي الوجود المستقل؛ لأن الحقيقة لديه تابعة للفكر.

4- الفيلسوف الايطالي بندتو كروتشه (1889-1952) :

تأثر بفلسفة هيغل، فصار يمثل نزعة الصياغة التعبيرية في فلسفة الجمال، لكنه يذهب في مثاليته، أبعد منه في فلسفة الفكر، إذ يرى للفكر أربعة أنواع من النشاط هي :

أ- الحدس أو التصور الصادق، وهو موضوع الجمال .

ب- وقوف الفكر على ما هو كونه وتوحيده مع الوعي الفردي، وهي عملية الادراك، وتمثل موضوع المنطق . .

ت- الجانب العملي، وهو جانب الارادة وتكون إما ارادة تتعلق بما هو فردي، وإما ارادة عالمية .

ث- الرادة الخلقية ن وتمثل موضوع الاخلاق وما يتصل به من علوم تدرس الحريات والعلاقات الاجتماعية .

وتنتج الفكرة لدى كروتشه للجمال في الفن عن طريق الحدس، إذ إن الفكر مستقل عن العالم الخارجي، فلا وجود للعالم الخارجي خارج عملية الادراك، وليست الاصول التعبيرية والعلامات الخارجية سوى عوامل مساعدة للفكر في تعبيره، لذا ليس للجمال المتجسد بالتعبير، مصدر سوى الفكر عن طريق الحدس . ويستلزم الحدس الكامل، أو الكشف التام، التعبير، ولا قيمة لما يعجز الانسان عن التعبير عنه، لأن

معنى العجز أن الفكرة غير واضحة . والتعبير العلمي هو تعبير عن فكرة، ويعد فنا لديه، وكل ما كتب جيدا هو فن وما لم يكتب جيدا رديء؛ لأن الحدس فيه غير كامل .

ولأن كروتشه يرى حتمية الكمال في العمل الفني التي تظهر في اتساقه ووحدته، يجد أن الفرق بين التعبيرات الحدسية، وهي تعبيرات كاملة، والآخرى غير الكاملة كالفرق بين التعبير عن عاطفة الحب من سذج الناس وعامتهم، ووصف الحب في أغاني الشاعر لايطالي ليوباردي، وهي فروق كمية وشمول، وليست فروقا في الماهية والعمق إذ يمكن أن يكن التعبير الساذج قويا في دلالته ما دام يدل على المضمون .

ولا يذهب كروتشه إلى التركيز على الصنعة والشكل، بأن يكون العمل الأدبي تعبيرا مصطنعا، وإنما يهتم بصدق الكاتب وصدور فنه أو أدبه عن تجربة ذاتية .

- للتوسع ينظر في هذه المحاضرة : النقد الأدبي الحديث، د. مجمد غنيمي هلال: 294-301.